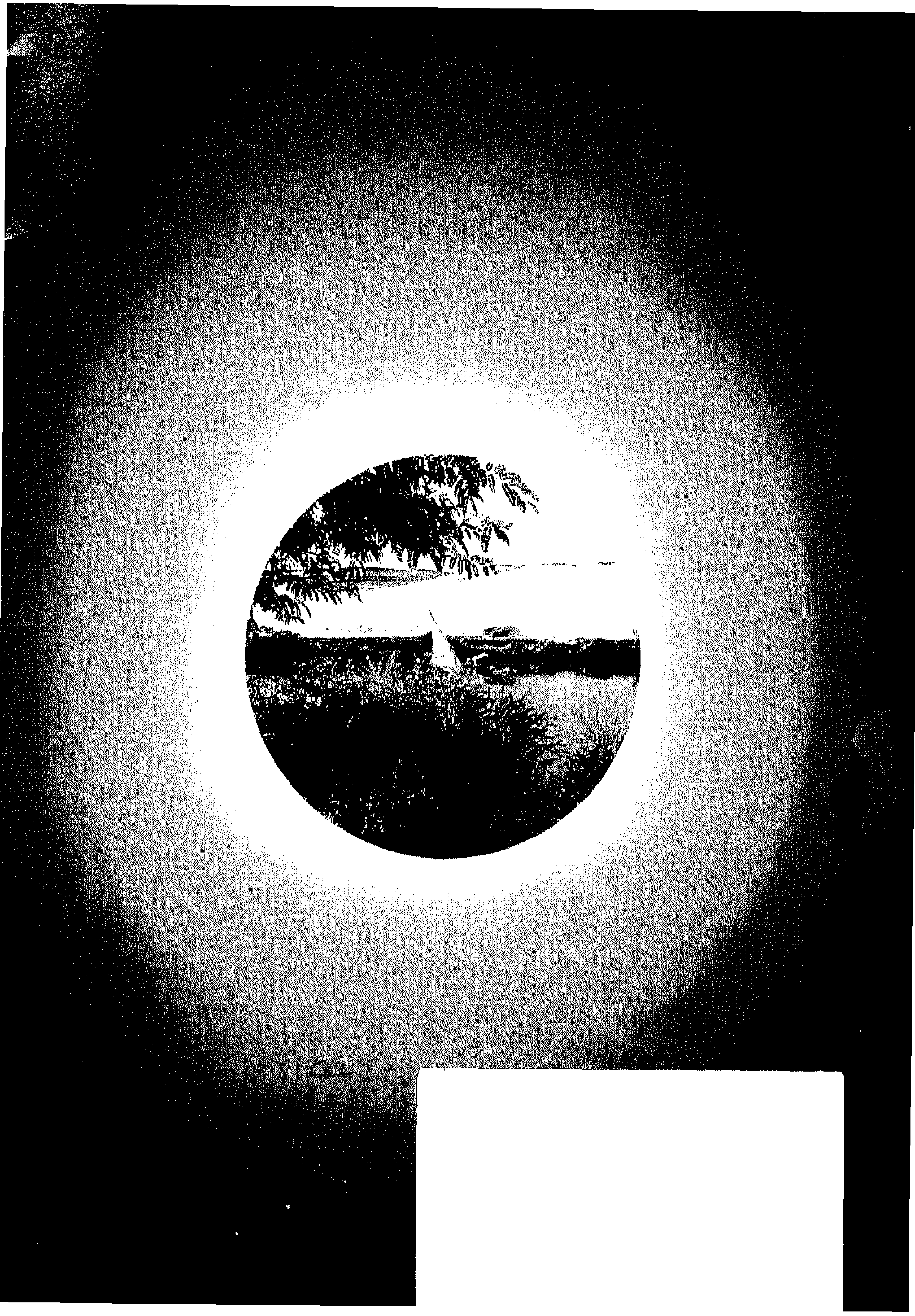
اخرج من مخبأك



واتجه نحو النور



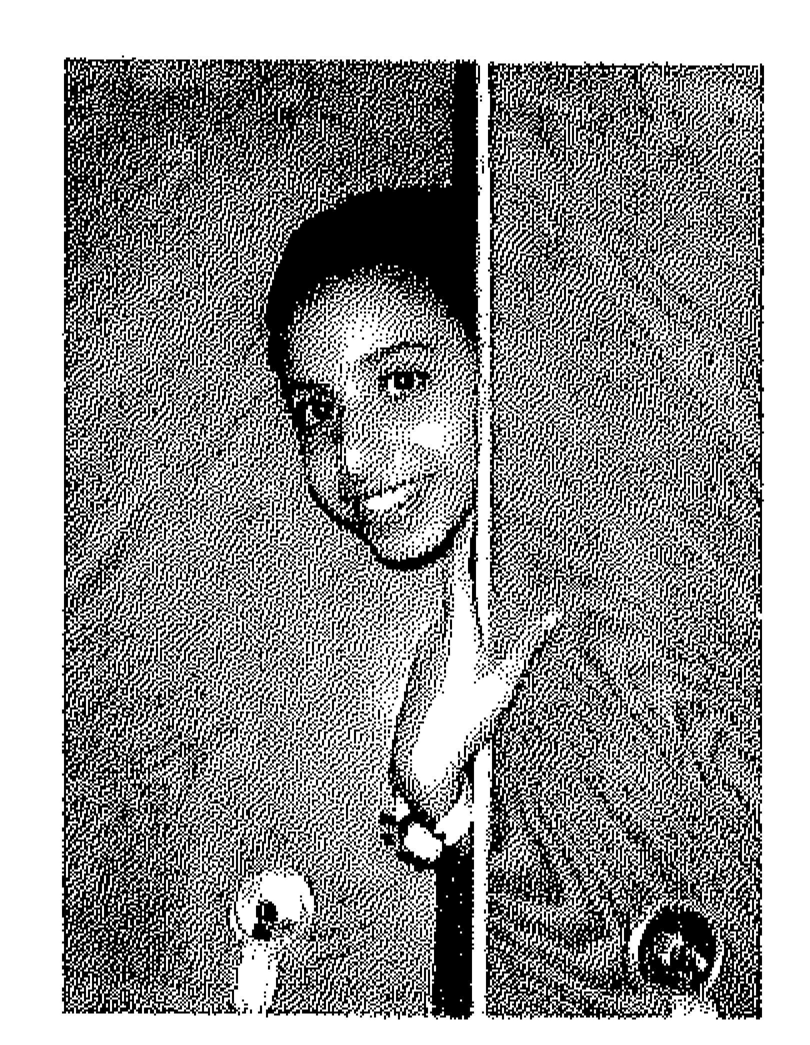


إن كل طفل يلعبها ولو مرة واحدة.

أنت تلعب «الاستغماية»، وتعرف أفضل مكان في العالم يمكنك أن تختبئ فيه (أو هكذا على الأقل يبدو للطفل)، وهكذا تتحرك بسرعة وهدوء إلى ذلك المكان، فتدخل وتغلق، الباب خلفك، وبدون أن تغير مكان أي شيء تختفي خلف أي شيء.

وتسمع من يبحث عنك وهو يصيح: «أنا قادم هل أنتم مستعدون؟». وتستمع لخطوات الأقدام واللهث وتسمع صوت ضحكات الآخرين إذ يجدهم من يبحث.

وتنتظر، وتعد أصوات كل من يبحثون عنك، فتعرف أنك أنت الوحيد الذي لاتزال مختبئاً؛ فتقوم بتعديل وضعك في مخبأك وتتأكد من أن أحداً لن يراك. وأخيراً تسمع صوت خطوات خارج الحجرة، وتسمع صرير الباب وهو يُفتح وتتمكن بصعوبة من ضبط نفسك وتنجح في أن تظل هادئاً وهم يبحثون عنك، إنهم لا يحركون أي شيء في الحجرة بل ينظرون هنا وهناك للحظات قليلة ثم يمضون.



لقد نجحت! والآن تبدأ مرة أخرى في الانتظار، ولكن في هذه المرة تسمع صوت شخص يؤكد لبقية المجموعة أنك لازلت مختبئاً، لكن ليس عليهم أن يتعبوا أنفسهم في البحث عنك في تلك الحجرة. تبدأ قدماك في الارتعاش من الوقوف في وضع واحد لمدة طويلة، فتتمنى أن يعثروا عليك، وترغب في أن تسمع أصواتاً خارج الحجرة و تتمكن من أن تتحرك حركة خفيفة تكفي لأن يسمعها الآخرون، وتنتظر .. لكنك لا تسمع أية أصوات في الخارج.

وبعد دقائق قليلة تتساءل ما إذا نسَوا أمرك كلّية؟!

ولعلك تنظر الآن لهذه التجربة الماضية بعيون ناضجة فتضحك إذ لم يجدك أحد في ذلك المساء. لكن هذا النموذج يكرر نفسه مرة أخرى، إذ تحاول أن تجد طرقاً تختفي بها عن أعين من يحبونك، فتلقي بنفسك في دوامة العمل لكي تتجنب علاقات أعمق مع أصدقائك، أو مع زوجك/زوجتك، أو مع أطفالك، أو حتى مع الله.

لكن رغبتك في أن يتم العثور عليك لا تفارقك، أليس كذلك؟

لقد عبَّر ملك وشاعر قديم عن مشاعره تجاه لعبة «الاستغماية» هذه، وعبَّر عن أمله وتمنيه أن يتم العثور عليه فقال:



«أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب.
إن صعدت إلى السموات فأنت هناك.
وإن فرشت في الهاوية فها أنت.
إن أخذت جناحي الصبح وسكنت في أقاصي البحر.



فهناك أيضاً تهديني يدك وتمسكني يمينك.
فقلت إنما الظلمة تغشاني.
فالليل يضيء حولي. الظلمة أيضاً لا تظلم لديك والليل مثل النهار يضيء. كالظلمة هكذا النور.» (مزمور ١٣٩: ٧-١٢).

الاستغماية لعبة الكبار

كلما تقدم بنا العمر، وجدنا طرقاً أكثر نضجاً للعب الاستغماية، حتى إن هذه اللعبة تتخلل أحاديثنا اليومية.

قد نقابل شخصاً ما في الشارع فنتبادل التحية، ثم يسأل الشخص الآخر: «كيف حالك؟»

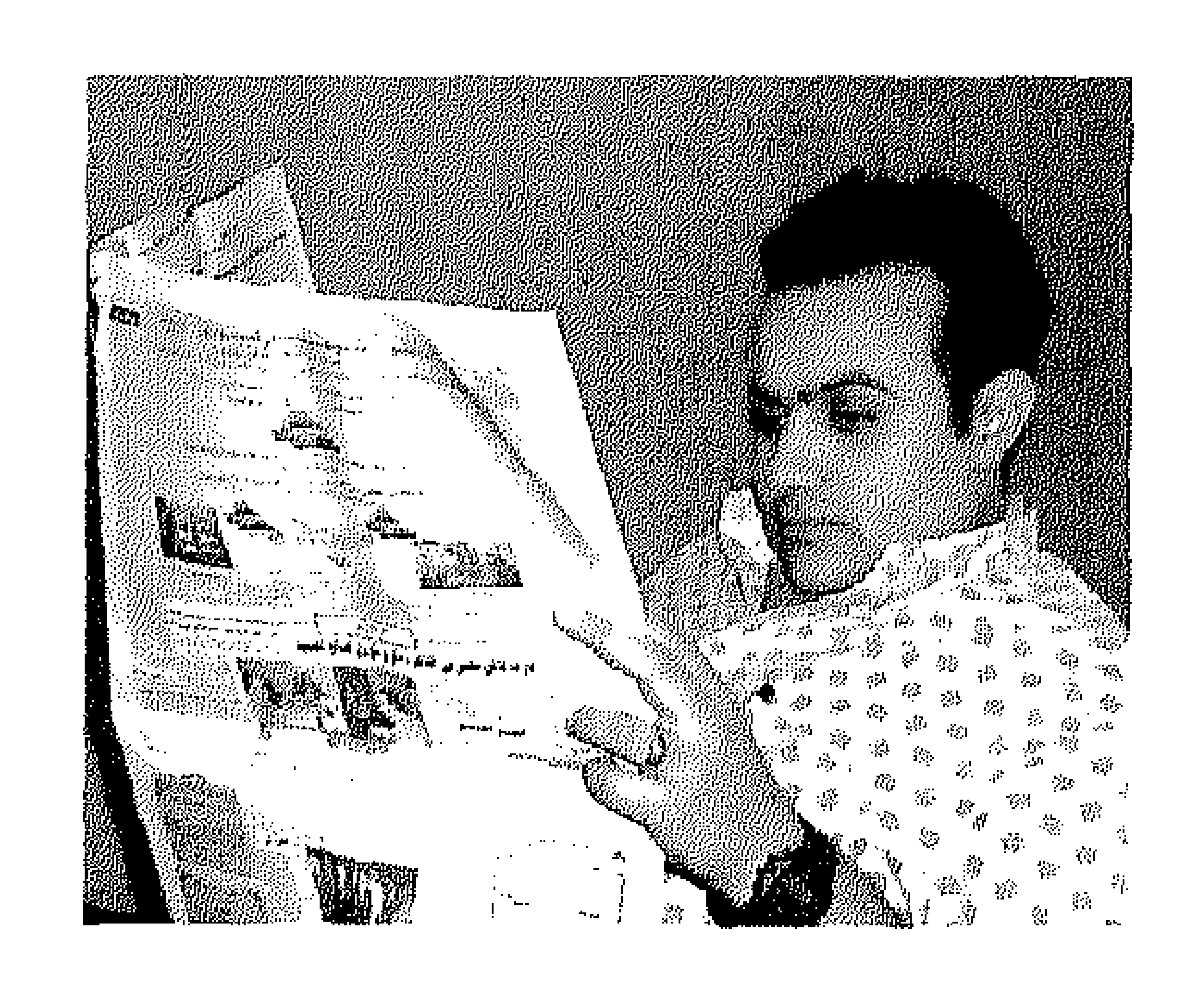
هل تعتقد أنه يرغب حقاً في معرفة إجابتك على هذا السؤال؟

وهل ترغب أنت أيضاً في أن تخبره مثلاً عن المناقشة التى أجريتها في الليلة السابقة مع ابنك؟ أو عن مصاريف ابنك الأكبر في الكلية؟ هل ستزعجه بقلقك ومخاوفك بشأن عملك؟ وهل يبدو حديثك عن ترقيتك العام الماضي كنوع من التفاخر والتباهي؟ وماذا عن حقيقة أنك في العام الماضي لم تشعر بالراحة والاستقرار؟



من الصعب جداً أن تتحدث عن التفاصيل، كما أنك لا تعتقد أن الآخر يهتم بذلك، ولهذا فإنك تجيب حين تُسأل عن حالك بالرد المقبول اجتماعياً: «أنا بخير، شكراً». وتمضي وأنت تعلم أن ليس كل شيء على ما يرام عندك (وهذا هو السبب في أنك لا تصدق الشخص الآخر عندما يقول: «أنا بخير، أشكرك»، إذا سألته عن حاله).

وتمضي الأيام، وتجعل من عملك حصناً تخبىء فيه ساعات شغلك عن عائلتك، وتخبىء عائلتك عن أصدقائك. هذا يجعل حياتك الروحية في انعزال عن أي شخص آخر... وفي النهاية تقول إن هذه حياتك الخاصة.



وعندما تسأل ابنك كيف كان يومه، فإنه يجيبك: «الحمد لله»، ولا يضيف إلى ذلك شيئاً! وعندها تدرك أنه قد تعلم هو أيضاً اللعبة، تتنهد وتغرق مرة أخرى وسط عناوين الصحيفة.

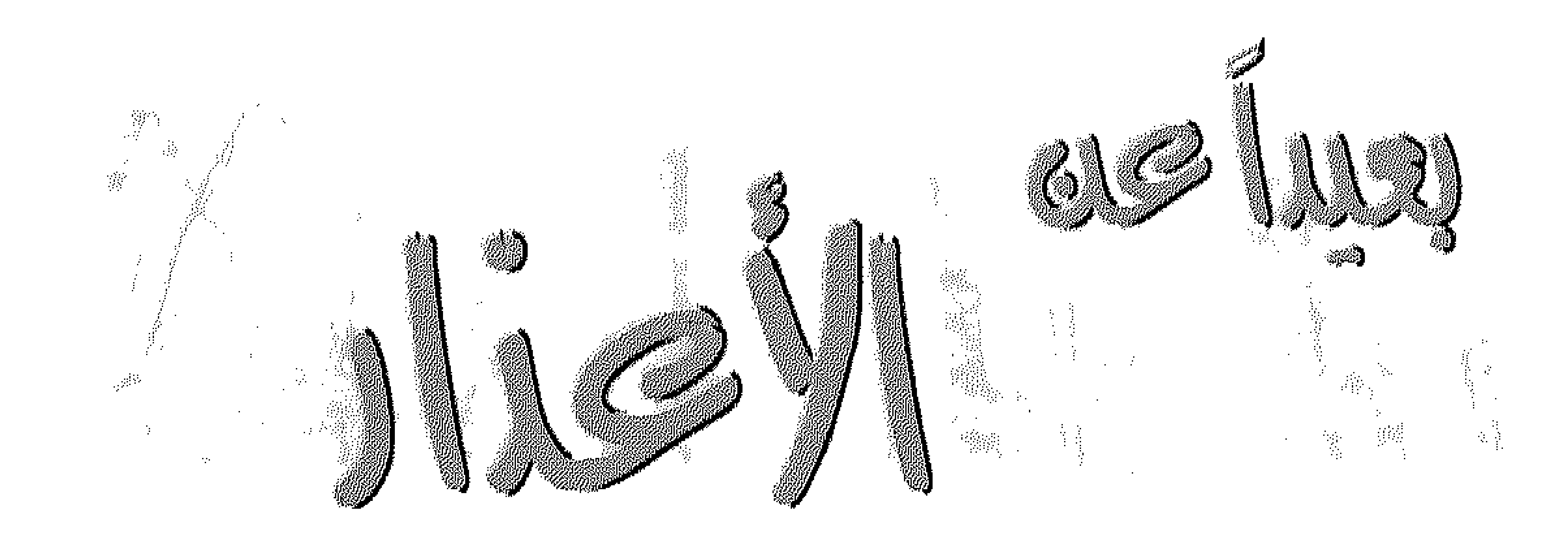
وفي أثناء كل هذا تتحدث مع أصدقائك عن المستقبل كما لو كنت أنت المتحكم في مصيرك، ولكنك تشعر أن الزمام يفلت من يديك لحظة فلحظة، وتظل التفاصيل معك وتظل مختفية عن أي إنسان آخر.

على الأقل، هذا ما تعتقده.

فكر مرة أخرى في أفكار الملك الشاعر وتأملاته:

«يارب قد اختبرتني وعرفتني.
أنت عرفت جلوسي وقيامي.
فهمت فكري من بعيد.
مسلكي ومربضي ذريت وكل طرقي عرفت.
لأنه ليس كلمة في لساني إلاَّ وأنت يارب عرفتها كلها.
من خلف ومن قدام حاصرتني وجعلت
عليّ يدك.»
(مزمور ١٣٩ :١-٥)





بعيداً عن الأعذار

ماذا لو استطعت أن تأخذ أعمق أسئلتك عن نفسك إلى شخص آخر؟ ما مدى ما سوف تبوح به بالفعل؟

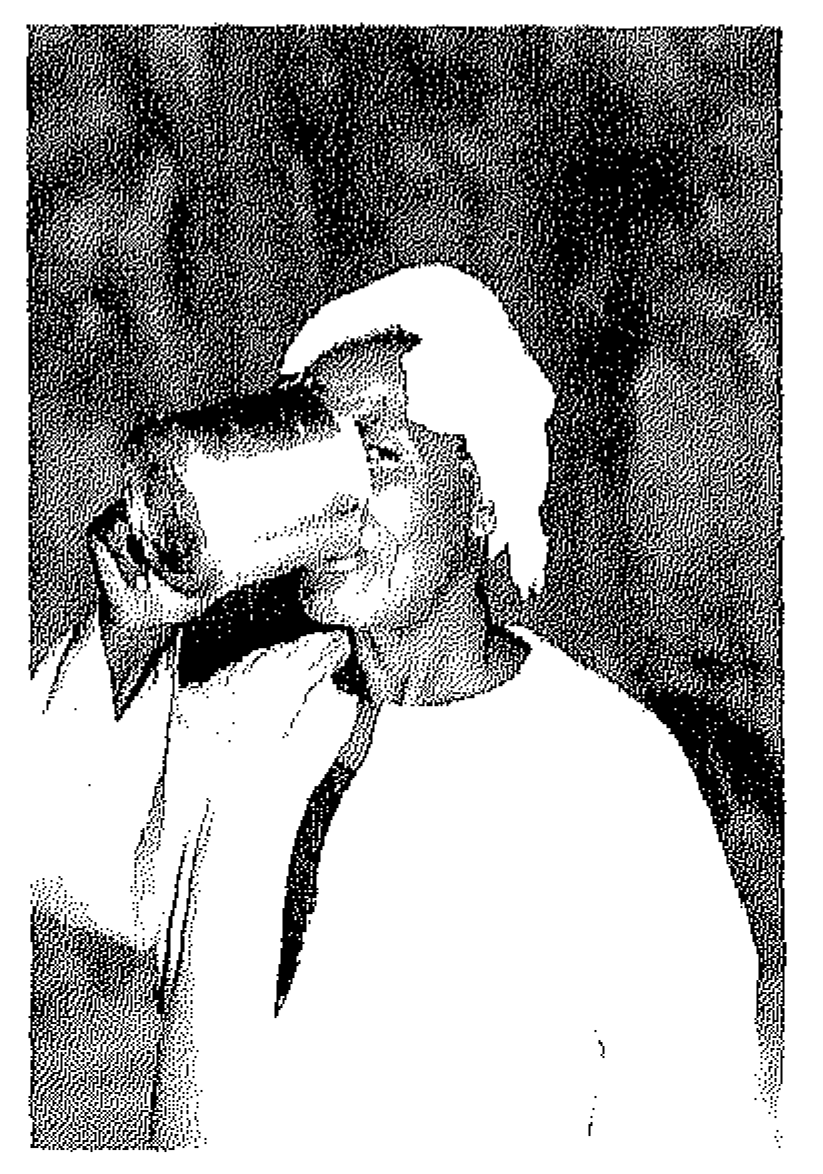


قد يحدث أحياناً أن تجد نفسك وقد أصبحت طرفاً في حوار عميق، ويتم ذلك بتلقائية بسيطة. ويحدث هذا عندما تسافر في قطار أو طائرة، فتقول بعض التعليقات العادية عن الطقس، وتتحدث قليلاً عن أسرتك، وفجأة تجد نفسك تتحدث أكثر عن نفسك أمام هذا الغريب المسافر معك، أكثر كثيراً مما تتكلم مع أي من زملاء عملك.

لكن ماذا لو أن هذا الغريب بدأ يخبرك عن تفاصيل في حياتك لم يرد ذكرها أبداً خلال حديثك معه؟ كيف يكون شعورك عندئذ؟ ربما في هذه الحالة ستأخذ حذرك أكثر، وربما تحاول أن تنهي الحوار، على غرار ما فعلت المرأة في القصة التالية:

وكانت هناك بئر يعقوب. فإذ كان يسوع قد تعب من السفر، جلس هكذا على البئر، وكان نحو الساعة السادسة.

فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماء، فقال لها يسوع: «أعطيني لأشرب» لأن تلاميذه كانوا قد مضوا إلي المدينة ليبتاعوا طعاماً.



فقالت له المرأة السامرية: «كيف تطلب مني لتشرب، وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية؟» لأن اليهود لا يعاملون السامريين.

أرجو ألا يفوتك هذا السؤال. لقد حاولت المرأة السامرية أن تختبيء وراء الخلافات العرقية بينها وبين يسوع .. «أنت لست مثلي، لذلك فليس ما يدعو إلى التحدث معك».

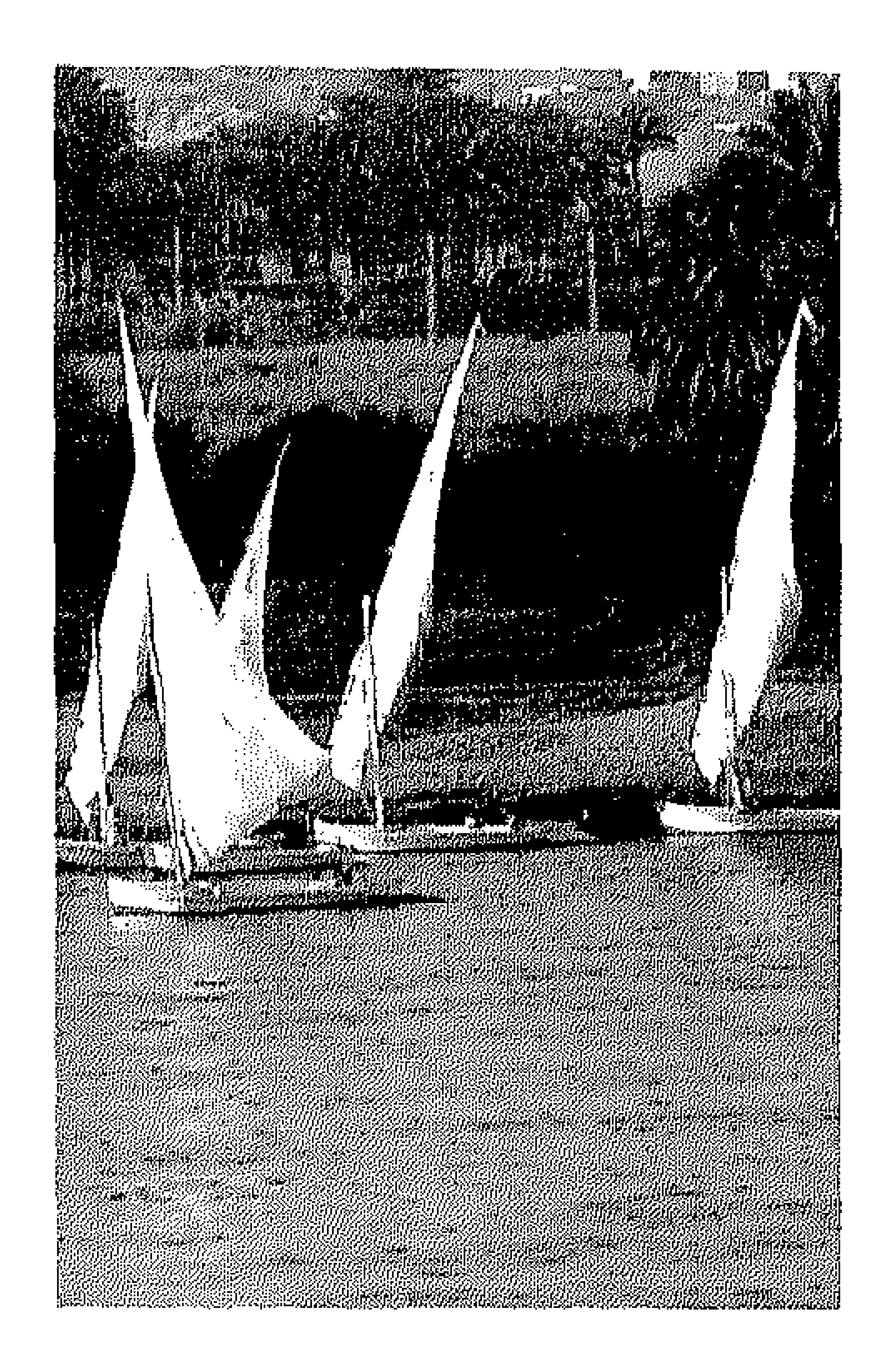


أجاب يسوع وقال لها: «لو كُنتِ تعلمين عطية الله ومن هو الذي يقول لكِ أعطيني لأشرب لطلبتِ أنتِ منه فأعطاكِ ماءً حياً.»

قالت له المرأة: «يا سيد لا دلو لك والبئر عميقة. فمن أين لك الماء الحي. ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذي أعطانا البئر وشرب منها هو وبنوه ومواشيه.»

لقد حاولت المرأة مرة أخرى أن تضع حاجزاً آخر تختبئ خلفه: «ألا تفكر؟ ليس لديك ما يساعدني على إتمام مهمتي، وبينما تخبرني أنك إنسان متميز؟!». لا تفكر بالسوء في هذه المرأة السامرية، لأننا الآن نفعل ما فعلت هي، نحاول أن نخذل الناس ونحيطهم في محاولة منا لأن نبتعد عنهم.

أجاب يسوع وقال لها: «كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً. ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية.»



قالت له المرأة: «يا سيد أعطني هذا الماء لكي لا أعطش ولا آتي إلى هَنا لأستقي.»

قال لها يسوع: «اذهبي وادعي زوجك وتعالي إلى ههنا.»

أجابت المرأة وقالت: «ليس لي زوج.» قال لها يسوع: «حسناً قلت ليس لي زوج. لأنه كان لك خمسة أزواج والذي لك الآن ليس هو زوجك. هذا قلت بالصدق.»

وكان هذا كشفاً لحياة المرأة فاق ما تستطيع احتماله، فقامت بمحاولة أخرى للاختباء، واختبأت هذه المرة وراء الاختلافات الدينية.

قالت له المرأة: «يا سيد أرى أنك نبي. آباؤنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يُسجد فيه.» قال لها يسوع: «يا امرأة صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب. أنتم تسجدون لما لستم تعلمون.

أما نحن فنسجد لما نعلم. لأن الخلاص هو من اليهود. ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق. لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له.»

وأخذت المرأة تحاول في يأس أن تنهي الحوار وتترك يسوع وراءها، فقامت بمحاولة أخيرة لكي تتجنب المواجهة. فحاولت هذه المرة أن تخبر يسوع أن حديثهما تطرق إلى موضوعات لا يجوز لغير الخبراء الحقيقيين، مثل المسيا، الخوض فيها.

قالت له المرأة: «أنا أعلم أن مسيا الذي يُقال له المسيح يأتي. فمتى جاء ذاك يُخبرنا بكل شيء.» قال لها يسوع: «أنا الذي أُكلمك هو.»

(يوحنا ٤: ٦-٢١، ٢٣، ٢٥-٢٦).

ما الذي يمكن للمرأة أن تقوله أمام هذا الكلام؟



من غير المريح مطلقاً أن تواجه شخصاً لا يسمح لك بالاختباء وراء حائط الأعذار. هذا ما يجده كثيرون منا غير متوافق معهم عندما يتحدث شخص ما عن أن له علاقة بالله.
إنه يعرف أكثر مما ينبغي.

الخروج من الحياة المألوفة

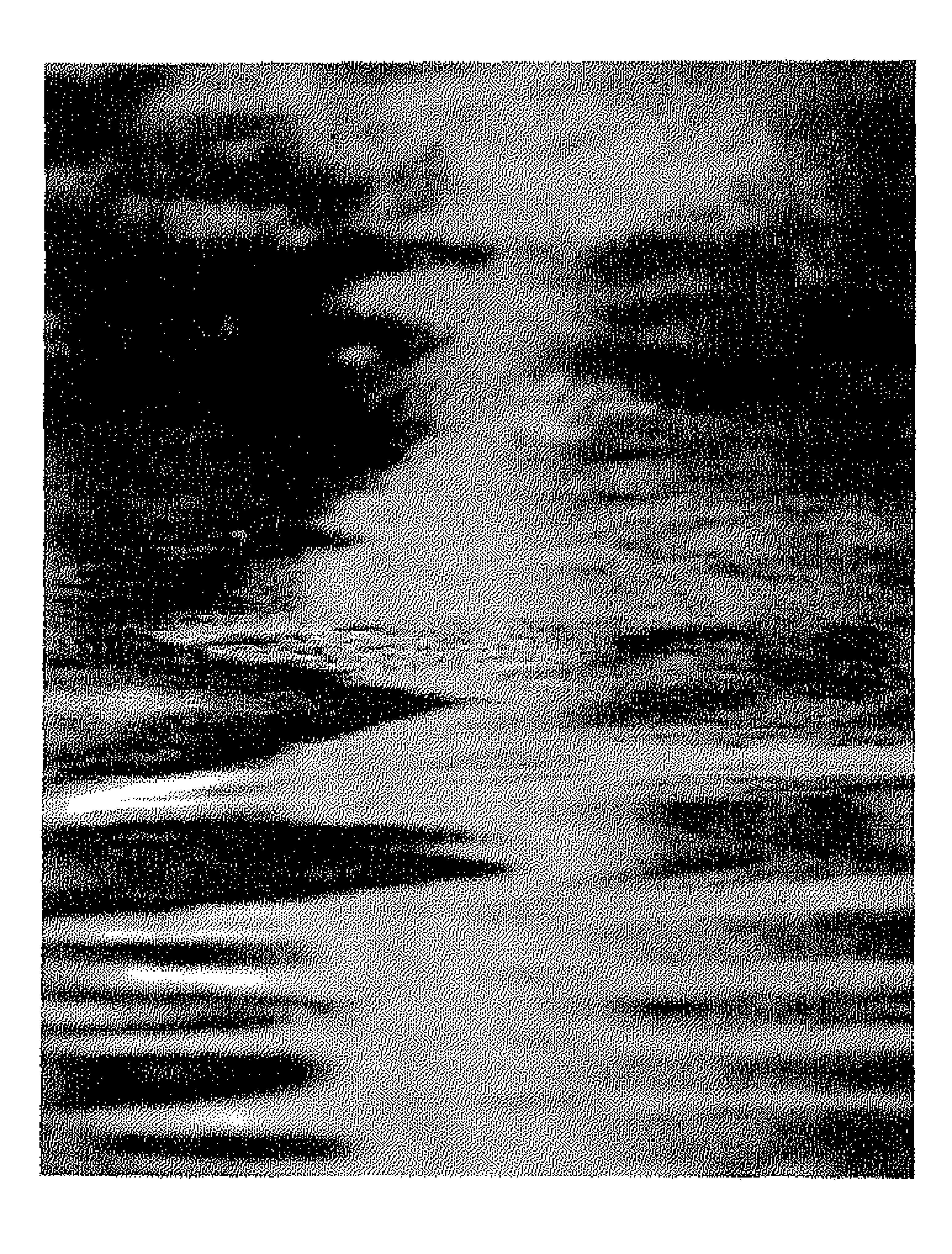
لا يحب أي واحد منا أن يترك الأشياء التي يستريح إليها، حتى ولو كانت تضره!. والبعض منا يتعلق بعناد بعادات معينة، رغم معرفتهم بأنها قد تكون مميته، فتركها والتخلي عنها أمر شديد الإزعاج وغير مريح.

لقي يسوع ذات مرة رجلاً كان قد ألف نوعاً خاصاً من الحياة لمدة ٣٨ سنة. ويحدثنا الكتاب المقدس عن ذلك فيقول:

«وبعد هذا كان عيد لليهود فصعد يسوع إلى أورشليم. وفي أورشليم عند باب الضأن بركة يُقال لها بالعبرانية بيت حسدا لها خمسة أروقة. في هذه كانَ مضطجعاً جمهور كثير من مرضى وعمي وعرج وعسم ينتوقعون تحريك الماء. لأن ملاكاً كان ينزل أحياناً في البركة ويُحرك الماء. فمن نزل أولاً بعد تحريك الماء كان يبرأ من أي مرض اعتراه. وكان هناك إنسان به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة. هذا رآه يسوع مضطجعاً وعلم أن له زمان كثيراً فقال له أتريد أن تبرأ.» (يوحنا ٥ : ١-٦).

وهناك قصة وراء بركة بيت حسدا، فبعض المخطوطات القديمة تشرح أن العاجز كان ينتظر تحريك الماء، فقد كان ملاك من الرب ينزل من وقت إلى آخر لكي يحرك الماء، وكان أول إنسان ينزل في البركة بعد تحريك الماء في كل مرة يشفى من أي مرض أصابه.

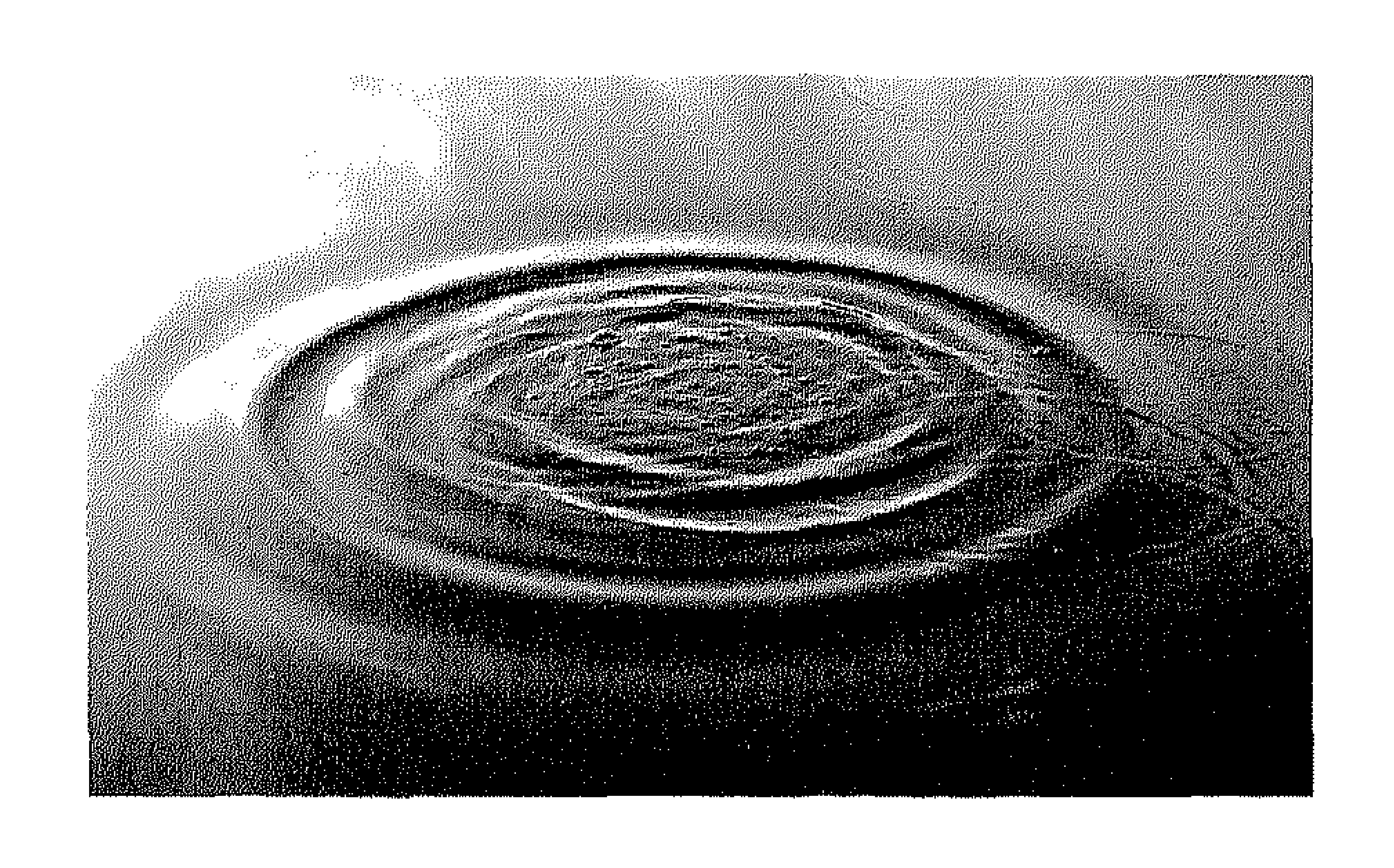
وكان السبب في أن يسوع وجه هذا السؤال إلى هذا الرجل بالتحديد هو أنه كان موجوداً حول البركة لمدة ٣٨ عاماً، لكنه لم يتقدم للأمام لينزل إلى الماء.



فربما كانت هناك أسباب لذلك.
ربما كان لديه دخل سهل يأتيه من التسول، وربما ببساطة كان قد فقد الرغبة في أن يشفى.
وربما كان يشعر بالراحة الشديدة حتى إنه لم يشأ أن يترك «ما تعود عليه» رغم أن عضلاته كانت تضمر، وكان يقترب كل يوم من الموت.

وتستمر القصة :

«أجابه المريض يا سيد ليس لي إنسان يُلقيني في البركة متى تحرك الماء. بل بينما أنا آتٍ ينزل قُدامي آخر.»



قال له يسوع : «قم. احمل سريرك وامشِ. فحالاً بريء الإنسان وحمل سريره ومشى. وكان في ذلك اليوم سبت.»
(يوحنا ٥ : ٧–٩) .
كان الرجل يمر بمغامرة جديدة، لقد تحرر من ٣٨ سنة من التسول والاستلقاء في أي مكان، وكان عليه أن يبني لنفسه صورة جديدة وشخصية جديدة وسط الناس. لقد شفي، لكن، أسلوب حياته اليومية الذي كان يريحه قد ذهب إلى الأبد.

هل يريحك أن تواجه زملاءك في العمل أكثر من أبنائك؟ قد تبعدك بعض العادات التي صرت ترتاح إليها عن أصدقائك وأسرتك. هل يريحك أن تجلس أمام الكمبيوتر أكثر مما يريحك قضاء الوقت مع أصدقائك وعائلتك؟ قد تفقدك بعض الأنماط الحياتية التي ألفتها آدميتك.



ومثل الرجل الذي ذكرنا قصته سابقاً، هل أصبحت مستريحاً لما أنت عليه من حال، حتى وإن سبب لك الشلل والعجز؟ كانت هذه الأشياء بالنسبة للرجل حالة جسدية، وبالنسبة لشخص آخر يمكنها أن تكون طبعاً أو رغبات معينة، أو عدم رضى عما لديه من إمكانات.

لكن يظل السؤال كما هو لا يتغير: أتريد أن تبرأ؟

ربما تحتاج أن تتخلى عن عاداتك التي استرحت إليها لسنوات كثيرة – أو أن تدع شخصاً آخر يعاونك على ذلك.



أحياناً كثيرة نستتر خلف المظاهر، وهذا جزء من أسلوب نشأتنا، فقد قيل لنا أن نظهر للآخرين في أحسن صورة ممكنة أو «أن لا ندع أحداً يرانا ونحن خائفين».

لكن أن يعكس مظهرنا الثقة شيء، وأن نصطنع لأنفسنا – صورة مزيفة نظهر بها أمام الناس شيء آخر – وبخاصة إذا كانت هذه الصورة مغلفة بالحديث الديني. كما توضح ذلك لنا القصة التالية:

«في ذلك الوقت ذهب يسوع في السبت بين الزروع. فجاع تلاميذه وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون. فالفريسيون لما نظروا قالوا له هوذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله في السبت.



فقال لهم أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه. كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لم يحل أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط. أو ما قرأتم في التوراة أن الكهنة في السبت في الهيكل يُدنسون السبت وهم أبرياء. ولكن أقول لكم إن ههنا أعظم من الهيكل. فلو علمتم ما هو. إني أريد رحمة لا ذبيحة. لما حكمتم على الأبرياء. فإن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً.»
(متى ١٢ : ١-٨).

لقد وضع الفريسيون، وهم القادة الدينيون في القصة، وضعوا نظاماً محكماً من القوانين التي يجب اتباعها. ففي الحقيقة، لم يكن ممكناً لأحد أن ينضم إلى مجتمعهم أو إلى طريقهم إن لم يكن مستعداً لأن يكون مثلهم تماماً لمدة ٢٤ ساعة في اليوم، وسبعة أيام في الأسبوع.

وقد أحرجهم يسوع مرة، بل ومرات، في أمور ليست بقليلة لأنه لم يرض أن يقوم بدورهم. وفي هذه القصة كانوا يريدون أن يمسكوا بتلاميذ يسوع في نقطة من الشريعة الدينية، لكي يُظهروا أن يسوع يشجع على كسر الشريعة. لكن رد يسوع عليهم، بأن أمسك هو بهم في تناقض حياتهم مع المظهر الديني الكاذب الذي نسجوه حول أنفسهم واختبأوا خلفه!

لقد ذكّرهم بأن كمية العمل المطلوب من الكهنة (لكي يؤدوا واجبات السبت، اليوم المقدس، بحسب مقياس الفريسيين)، تكسر شريعة حفظ السبت. ولكي يوضح هذه النقطة استشهد يسوع بحادثة عن الملك الشاعر القديم داود، وأكله من الخبز الذي كان مخصصاً لمراسم العبادة. وبهذا كان يسوع يُظهر حقيقة أن الله يهتم دائماً بإشباع الجوع الحقيقي أكثر من اهتمامه بالمحافظة على المظاهر.

فالجوع ليس اختباراً نظرياً، بل هو حقيقة أساسية في الحياة.
لا شك في أن القادة الدينيين كانوا جائعين في ذلك الوقت، عند تلك المواجهة.
فماذا كان سيحدث لو أنهم قرروا أن يتخلوا عن المظاهر وينضموا ليسوع وتلاميذه في الأكل في ذلك اليوم؟

وهكذا، ما الذى يدفعك ويقودك؟ أهو المظهر – أم الاحتياج الحقيقي؟





يمكننا أحياناً أن نتعلم كيف نخرج من مخابئنا أمام الآخرين. إن مبدأ المحافظة على التواصل الصادق والمستمر، ينقذ يومياً الكثير من الزيجات والصداقات.

إن النقد والهجوم الذي يترتب على خلع الأقنعة وتقليل المظاهر هو أمر يجب أن نعتز به.

لكن، ومنذ بداية الخليقة، لم يكن من السهل على الإطلاق أن يظل الإنسان خارج المخبأ بالنسبة للآخرين أو بالنسبة لله – حتى في أكثر المواقف مثالية. وربما تكون هذه القصة مألوفة لديك. إنها قصة من جنة عدن، وهي تروى عن وقت وقف فيه أناس أمام بعضهم البعض – بدون توارٍ، وبدون أسوار، فماذا حدث إذن لكي يلجأ البشر إلى الاختباء.

«وكانا كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان.

وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله. فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة.



فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل. وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا.

فقالت الحية للمرأة لن تموتا. بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر.

فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل. فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان. فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر.

وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة. فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت.»

(تكوين ٢ : ٢٥ – ٣ : ٩).

أين أنت ؟

إنه سؤال غريب، خاصة إذا أتى من الله الكلي العلم والمعرفة. فإذا كان الله يريد فعلاً أن يكتشف أين كان آدم وحواء، فقد كان في استطاعته أن يجعل كل النباتات والأشجار في جنة عدن تُسقط أوراقها حتى يمكنه أن يرى كل شيء. فلم يكن هدف السؤال إذن تقديم المزيد من المعلومات لله، بل أن يفكر آدم وحواء في موقفهما.

أين أنت ؟

يبدو أن الله أراد أن يستغل آدم وحواء الفرصة للخروج من مخبأهم. لقد كانا بحاجة إلى تحمل مسئولية ما فعلاه.

كان آدم وحواء قد عرفا ماذا تعنيه العلاقة الصريحة والكاملة مع الله ومع بعضهما البعض، وكان كلاهما قد اتخذ قراراً سيئاً انتهك به هذه العلاقة.

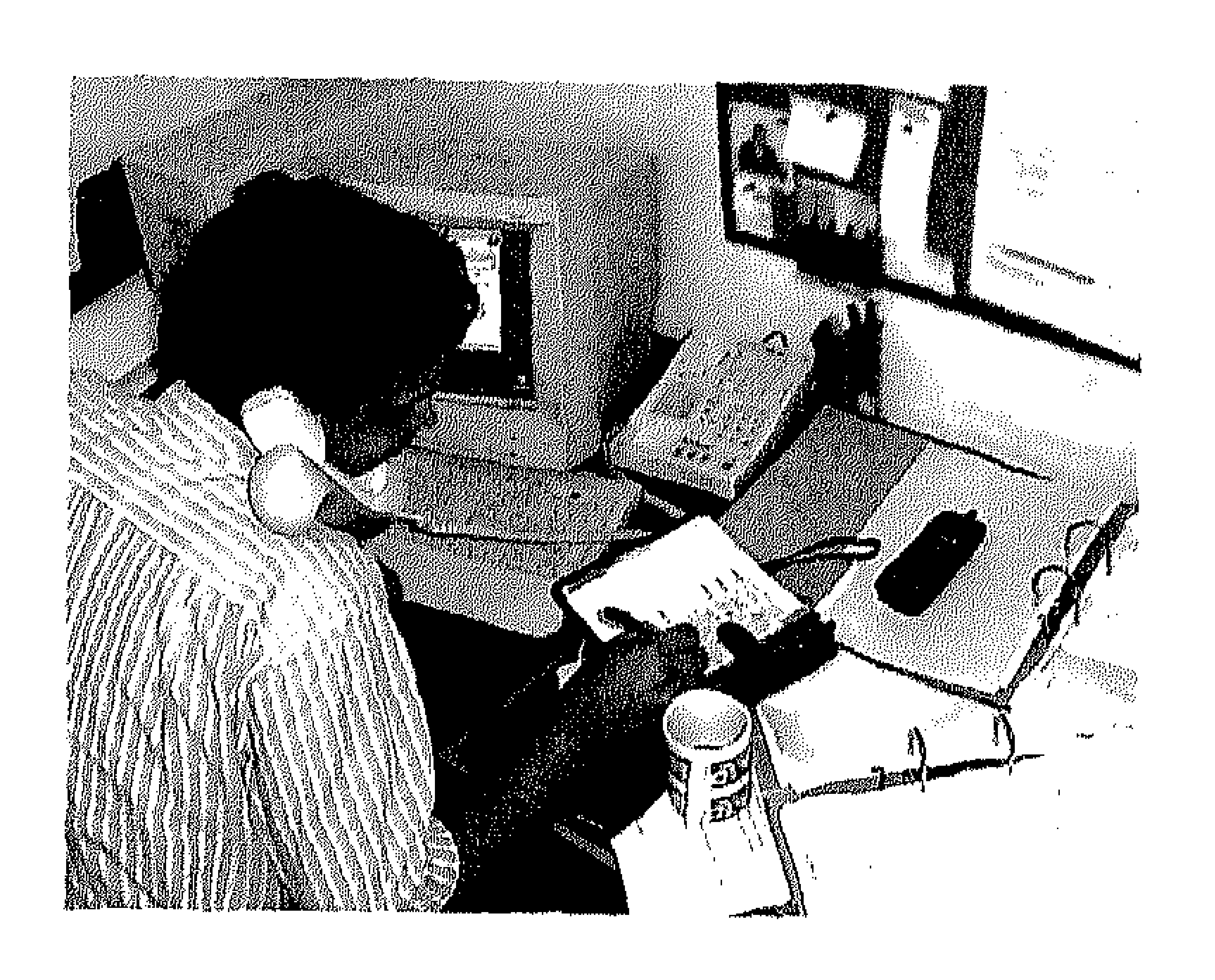
إنهما لم يعودا قادرين على مواجهة اللوم أو النقد كما كانا قبلاً، لذلك اختبآ.



أين أنت ؟

استخدم آدم وحواء أوراق شجرة التين للسترة. ونستخدم نحن العمل والأعذار والمظاهر لكي نغطي ونستر أنفسنا. إننا نعلم أننا قد جرحنا الآخرين. ولكننا، بدلاً من أن نواجههم ونطلب غفرانهم، فإننا نبني أسواراً حول أنفسنا. ونحن نعلم أننا قد جرحنا الله، وبدلاً من أن نواجه حقيقة أنفسنا، فإننا نلجأ للاختباء والاستتار. لكن سؤال الله لا يتغير أبداً، إنه يقف مستعداً للترحيب بنا في علاقة مشبِعة معه – علاقة تؤدي دائماً إلى علاقات مشبعة مع الآخرين – إذا كانوا مستعدين لأن يخرجوا من مخابئهم.

فأين أنت ؟



أول خطوة للخروج

أحياناً يتوقع الناس أن يكون رد فعل الله تجاه مواقف حياتهم بصورة معينة، وعندما لا تأتي توقعاتهم كما يحبون، فإنهم لا يعودون يشغلون أنفسهم مرة أخرى بوضع الله في حسابات حياتهم.

وتكمن المأساة في أن كثيرين منا يعزلون الله عن حياتهم حتى قبل أن يقدموا له الفرصة لكي يؤثر فيها. بل إننا كثيراً ما لا ندعه يقدم لنا شيئاً، ولا أن يؤثر فينا.

ربما تفكر أنك ظللت مختبئاً لفترة طويلة حتى إنك لا تستطيع الحصول على المساعدة التي تحتاجها. وربما كان هذا هو تفكير أحد القادة الدينيين، بعد أن قضى وقتاً في حديث شخصي مع يسوع منذ حوالي ألفي عام:



«كان إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس رئيس لليهود. هذا جاء إلى يسوع ليلاً وقال له يا معلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلماً لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه.

أجاب يسوع وقال له الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يَرَى ملكوت الله.

قال له نيقوديموس كيف يمكن للإنسان أن يُولد وهو شيخ. ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويُولد.

أجاب يسوع الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله. المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح. لا تتعجب أني قلت لك ينبغي أن تولدوا من فوق. الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. هكذا كل من وُلد من الروح.

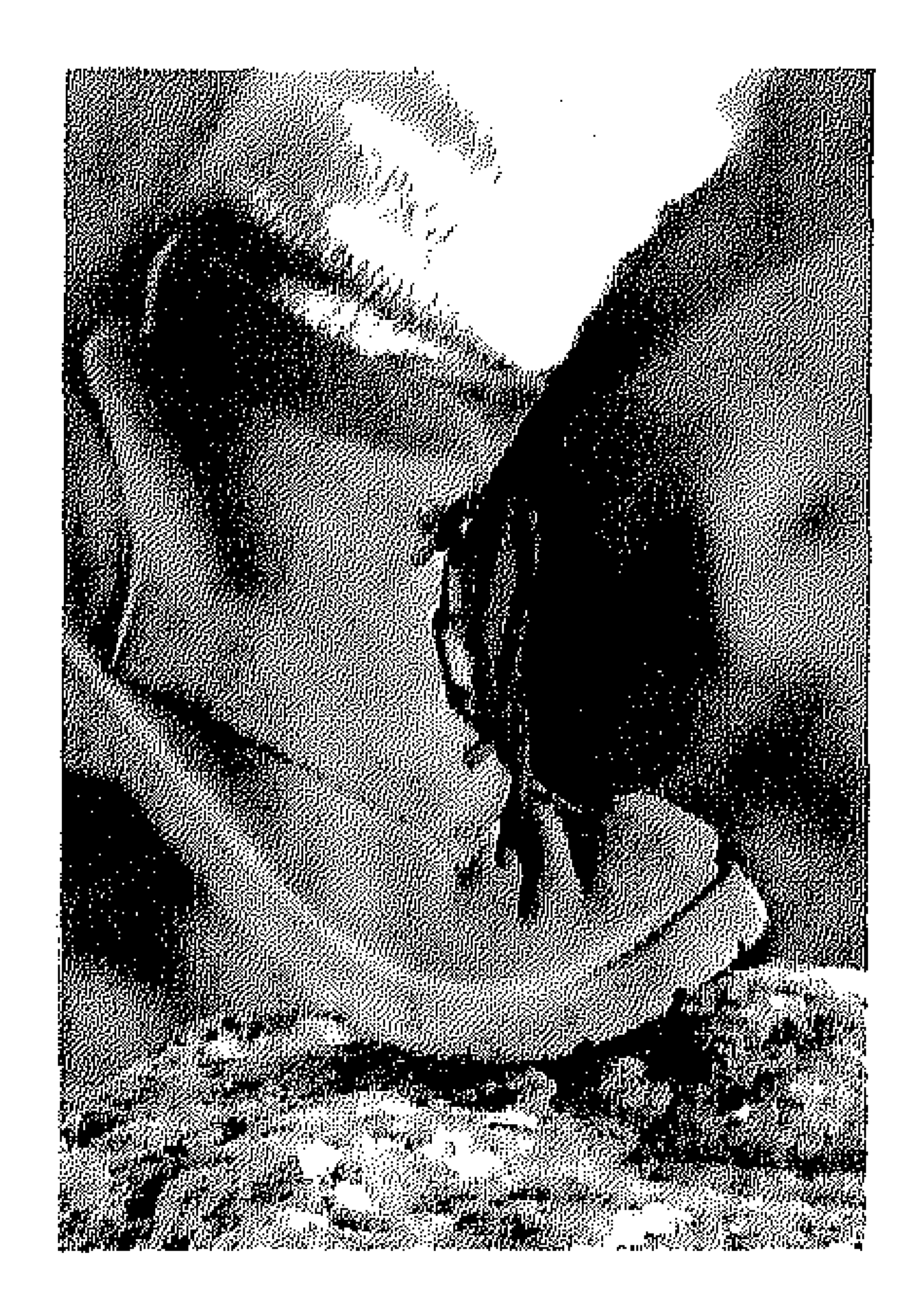
أجاب نيقوديموس وقال له: كيف يمكن أن يكون هذا.

أجاب يسوع وقال له: أنت معلم إسرائيل ولست تعلم هذا. الحق الحق أقول لك إننا إنما نتكلم بما نعلم ونشهد بما رأينا ولستم تقبلون شهادتنا. إن كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون فكيف تؤمنون إن قلت لكم السمويات. وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء.
وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان. لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.

لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليَخلُص به العالم.»
(يوحنا ٣ : ١-١٧).

ورغم أن زيارة نيقوديموس كانت في الليل، إلا أنها تطلبت قدراً كبيراً من الشجاعة حتى يزور يسوع بمفرده. ولم يكن هذا لأن يسوع كان يمثل تهديداً بالنسبة له.





كان الأمر أكثر من مجرد عدم كون أصدقاء نيقوديموس من رجال الدين والمعارف محددين موقفهم من يسوع.

ولا شك في أن يسوع قد تفهم مدى المخاطرة التي قام بها نيقوديموس باتخاذه خطوة مقابلته، فقد قضى نيقوديموس سنوات قبل أن يصل إلى منصبه هذا. لقد كان من بين نخبة قليلة، في الظروف الثقافية لأيامه، ممن كان لهم تأثير ديني وسياسي واجتماعي. لكنه وقف بعيداً عن رفاقه ذوي النفوذ وقفة حاسمة: فقد خطا خطوة بدأت بأن نحّى المظاهر جانباً، لكي يتمكن من أن يصل إلى معرفة يسوع.

وفي سجل حياة يسوع على الأرض، يمكننا أن نقرأ عن يسوع وهو يسدد احتياجات أولئك الذين أرادوا التخلي عن المظاهر، بغض النظر عن طول الزمن الذي قضوه في مخابئهم. فلو أبدوا استعدادهم في الخروج من مخابيء أعذارهم، وعدم يقينيتهم وألاعيبهم الدينية، وأنماط الحياة التي اعتادوا عليها، فإن يسوع أيضاً كان مستعداً لأن يتقابل معهم.

وبالمثل، فإن يسوع مستعد الآن لكي يتقابل معك، وليس عليك أن تلقي كل شيء جانباً في الحال، ولكنك تحتاج بالفعل لأن تأخذ الخطوة الأولى للخروج من مخبأك.



ها هي الطريقة التي تبدأ بها في الحياة خارج المخابئ:

١ – يجب أن تدرك أن الله يعرفك بالفعل كما أنت. ومهما بذلت من جهد في الاختباء يظل الله يعرفك تماماً. إنه يعرف دوافعك للاختباء، والأحداث التي جعلتك تشعر كما لو أن الاختباء هو أفضل اختيار أمامك.

لقد صلى سليمان الحكيم قائلاً:

«فاسمع أنت من السماء مكان سُكناك واغفر واعمل وأعط كل إنسان حسب كل طُرُقه كما تعرف قلبه. لأنك أنت وحدك قد عرفت قلوب كل بني البشر.»

(الملوك الأول ٨ : ٣٩).

٢ – يجب أن تدرك أن الله يحبك كما أنت. ففي كل أحوالك : في مظهرك، وفي «الأقنعة» التي قد تختفي وراءها، وفي كل جهد تبذله لكي تختبئ في كل هذه، لم يتغير حب الله لك أبداً، فالله ليس فقط يعرفك كما أنت، بل هو يحبك أيضاً كما أنت.

قال الرسول بولس:

«ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا.»

(رومية ٥ : ٨).

٣ – اعترف بمسئوليتك في اختبائك من الله، واطلب منه الغفران. لقد قضيت سنوات في البعد عن الله، وكان هو يريدك أن تكون في علاقة حميمة معه. اعترف بكونك أنت الذي ابتعدت عن الله في كل اختياراتك وتصرفاتك إلا أن إدراكك لمسئوليتك عن هذه العلاقة المقطوعة ليس كافياً، بدون أن تطلب من الله النعمة التي تحتاج إليها لكي تستعيد هذه العلاقة إن الله ينتظرك ويريد أن يغفر لك.

لقد قال الرسول يوحنا:

«إن قلنا إنه ليس لنا خطية نُضل أنفسنا وليس الحق فينا. إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادلَ حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم.»

(يوحنا الأولى ١ : ٨ ، ٩).

٤ – يجب أن تقبل موت يسوع المسيح على الصليب على أنه الثمن الضروري واللازم لتصحيح العلاقة بينك وبين الله.

لقد قال الرسول بطرس:

«فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا البار من أجل الأثمة لكي يُقربنا إلى الله مُمَاتاً في الجسد ولكن محيىً في الروح.»

(بطرس الأولى ٣ : ١٨).

٥ – اطلب من الله أن يساعدك لكي تخرج من مخبأك، وتبقى خارجه وتكون في علاقات مخلصة أمينة معه ومع المحيطين بك.

«لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقي. لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين. ولنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة. غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة بل واعظين بعضنا بعضاً وبالأكثر على قدر ما ترون اليوم يقرب.»
(العبرانيين ١٠ : ٢٢-٢٥).





يمكنك أن تبدأ هذه العملية بصلاة بسيطة كهذه:

«اللهم إني أريد أن أخرج من المخبأ. إني أحتاج لمساعدتك ومعونتك لكي أنزع الأقنعة التي أرتديها والأسوار التي أبنيها. من فضلك اقبلني كما أنا واجعلني الشخص الذي تريدني أن أكونه. إنني أعترف بخطيتي ولا أنتحل لنفسي أي أعذار عن اختياراتي السيئة. فمن فضلك سامحني. إنني أؤمن بيسوع وأقبل الثمن الذي دفعه عن خطية كل إنسان، وخطيتي أنا أيضاً. فمن فضلك أيها الرب يسوع ادخل قلبي وغيّر حياتي. أشكرك لأنك وجدتني اليوم. آمين.»

■ إذا كنت قد صليت هذه الصلاة أو أي صلاة مثلها، فإنك سترغب بالطبع في المعرفة أكثر عن كيفية النمو في علاقتك الجديدة مع الله. وفيما يلي بعض الأشياء التي يمكنك أن تقوم بها للوصول لهذا الهدف:

ابحث عن كنيسة تقوم بتعليم الكتاب المقدس ودرسه، واحضر اجتماعاتها بانتظام. وسوف تجد هناك أناساً مستعدين لمساعدتك في الإجابة على أي أسئلة قد تكون لديك.

■ احصل على كتاب مقدس واقرأ جزءً منه كل يوم (الشخص الذي أعطاك هذا الكتيب يمكنه أن يساعدك في الحصول على كتاب مقدس. أو يمكنك الحصول على كتاب عن طريق العنوان الموضح في الصفحة التالية) ابدأ بقراءة إنجيل يوحنا، ثم اقرأ المزامير وسفر الأمثال أيضاً. إن قراءة الكتاب المقدس لبضع دقائق قليلة كل يوم سوف تغير في فهمك لطرق الله كثيراً.

■ صلِّ في كل وقت تستطيع فيه أن تصلي، واجعل صلاتك حواراً مع الله. لا تحاول أن تستخدم كلمات لها صدىً يستحسنه الناس، بل صلِّ بكلماتك الخاصة. كن أميناً مع الله في إخباره بما تشعر به.

■ إن الخروج من المخبأ خطوة كبيرة بالنسبة لك ولأي إنسان، فلا تظن أنها ستمضي بدون أية محاولات للتكيف طوال الوقت. لكن تذكّر أن الله معك لكي يساعدك على أن تعيش في النور بدون استتار.



■ استخدم الصلاة والكتاب المقدس وعلاقاتك بأسرتك وبأصدقائك كوسائل تجعل حياتك الجديدة على أفضل ما يمكن أن تكون عليه من حال.

كبداية لتعودك على قراءة الكتاب المقدس، اقرأ فيما يلي:

- إذا كنت ترغب في التفاعل أكثر مع الله فاقرأ **المزامير**.
- لكي تفهم الأمانة والحياة الحكيمة، اقرأ **الأمثال**.
- إذا أردت أن تعرف من هو المسيح، فاقرأ الأناجيل بحسب **متى ومرقس ولوقا ويوحنا** - التي تُعرف بالبشائر.
- اتجه **لرسالة يعقوب** إن أردت أن تحصل على أمثلة حية عما يجب أن يكون عليه السلوك المسيحي الحقيقي.
- في **التكوين** يمكنك أن ترى كيف يتفاعل الله مع الناس، وكيف ولماذا خلق الله الإنسان.
- الأفكار الرئيسية للمسيحية تجدها في **الرسالة إلى رومية ١-٨**.



اخرج من مخبأك
طبعة ثالثة ٢٠٠٢
الناشر: مكتبة المنار
١٧ شارع مراد الشريعى،
سانت فاتيما، مصر الجديدة، القاهرة.
تليفون: ٦٣٩٥٠٣٠ - تليفون وفاكس: ٢٤٠٣٨٤٨

الأعمال الفنية شركة ماستر ميديا
تليفون: ٣٥٩٤٥٢٠ / فاكس: ٣٨٠٦٢١٥
طباعة: دار الياس العصرية
٧٣، ٧٥ شارع عمان - عين شمس الشرقية - القاهرة - مصر
الترقيم الدولي: ٠-٢٢-٥٦٧٤-٩٧٧
رقم الايداع: ٩٩/٨٧٠٨

Arabic Publisher:
Lighthouse Book Centre:
17, Mourad El Sharei St.,
Saint Fatima, Heliopolis, Cairo.
Tel / Fax: (202) 2495030 - (202) 2403848

لما كنا أطفالاً، أحب الكثيرون منا لعبة «الاستغماية».

ولما كبرنا صرنا نبتكر طرقاً أخرى للعبة «الاستغماية».

لكننا في أعماقنا نشعر بعدم الارتياح لذلك، وصرنا لا نحب الاختباء.

«اخرج من مخبأك» يمكن أن يساعدك على التوصل إلى طريق آمن لتتجه نحو النور.



